نفرتيتي والمثال

دراما شعرية في ثلاثة مناظر

أشخاص الرواية

الملك أخناتون	بنريا — كبير كهنة آتون
الملكة نفرتيتي	ماهو ـ رئيس الشرطة
تحتمس ـ المثال	وصيفة الملكة
سنوحي — طبيب أخناتون	حارس الملك الخاص
المشير ناخت — وزير أخناتون	

المنظر الأول

(يمثل المنظر الأول احدى قاعات القصر الملكي بمدينة اخيتاتون Akhetaten الشهيرة اليوم باسم تل العمارنة عاصمة المملكة المصرية في عهد الملك أخناتون ، وقد جلست الملكة نفرتيتي أمام المثال تحتمس ليبدأ تمثالها . والوقت صباح يوم من أيام الربيع

نفرتيتي — (تحتمس) ! ما أنا من تبدع ولكنه فنك الأبدع !
لأقبط في جلستي ما أراد فهذي الحياة وما تجمع
وما أنا الا عشيرة الحياة وما الفن إلا المنى الأرفع !

تحتمس — أنا ما صنعت ربة التاج الا لمحة من بهاء هذى الألوهة
كم معان تجيش بي وأنا أعجز عنها ! يا خجلتي من قصوري !
أنا طفل أمام حسنك مولاتي ! ويا ربما . . . . .

نفرتيتي (مقاطعة) — . . . . . كفى يا (تحتمس) !
مثل هذا التمجيد ليس له أهل سوى ربنا المعلّى (أتون)
الذي يصنع الحياة ويضفي في الشعاع الحنون روح الفنون
أنت من نوره ، ولولا ما صنعت الذي صنعت من بديع الفنون !

مختمس — مرآك مولاتي هو المعنى المقدّس للوجود
مرآك من آياته حب الحياة بنا يزيد
خفيت معانيه وإن ظاهرت خرّرت العبيد
إلاّ ذوي الفن الأسارى للهواجس في القيود !

نفرتيتي — ما أبدع السحر الذي سويته
وكأنما هو نابض !

مختمس — نظرة منك نحوه تنفث الروح به واغتباط القنوع
كم صخور في حسرة تنشد الحب وتذوي في لوعة أو خضوع !

نفرتيتي — يدك الصناع هي الكفيلة وحدها بجمال ما يزري بكل جمال
ما ألطف الأذن التي سوّيتها والعين والأنف الشموخ العالي
والجبهة المتلألىء التفكير في ومضاتها كتلألؤ الآمال :

*

قل لي (مختمس) هل يحين تناولي عما قريب ذلك التمثالا
اني لجد ناورة بصليمه وكأنما هو كوكب يتلالا
كشفته عين الفن وهي قديرة تستأسر المتفنن المتمالا

مختمس — مثل هذا التمثال كالشمس لا يفرغ من صنعه مدى الأزمان
كل شيء منها يعود اليها في حياة مديدة الدوران
والذي يدعي التكفل بالتعبير عنها يلج في الهذيان
والذي يدعي التمكن في عمر يخلّد ، في الوهم فاني
جلّ ربي (اتون) ! ما الخلد إلاّه ، ومن وحيه تهمى الفنّان
أنا ما عشت ناحت أقبس النور ، ولن أنتهي بفني الآناني !
أنا ما عشت ملء في وجودي...ووجودي بوحيك النوراني !

نفرتيتي — ها ها ها !
أنت في الحلم لا تفيق فاذر إن بعض الأحلام فيها الهلاك !
ذا (مريرا) يراك غالبت في النحت ، وكان الأولى (أتون) العظيم
ورئيس الكهنوت ليس الذي يغفل رأي له لدى (أخنتون)

ثم هذا (ناخت) المشير يرى أيضاً تلكؤاً منك جمّا!
(يسمع وقع الدام)
وإخال الجميع آتين للفحص وكي يقدروا الذي قد صنعت!

(يدخل الملك اخنتون وبصحبته كبير الكهنة مريرا والمشير "ناخت"، وطالما ألف على الملك اخنتون بوقف صنع تمثال نفرتيتي لان تحتمس المثال انتاكاً فيه طويلا حتى ان الدولة ضرج الى انه لتمثيلها الدينية العامة . وما تلكأ تحتمس في صنع التمثال إلا لانه أحب الملكة نفرتيتي حبا جماً ، فتعلق الى غير نهاية بصنع تمثالها . وهل أثر دخولهم يبدأ الملك اخنتون بالحديث) .

أخنتون — (لنفرتيتي) ! هذه تحفة فنّان عظيم!
إن فيها قلبه حيا وإعاناً وتدينا !

تحتمس (مرتبكاً) — مولاي ! هذا نيل متّاح عزيز!
يا ليتني أهل لهذا العطف يا رب البلاد !

مريرا — أما انا ، فأرى — برصفي الكاهن الأعلى هنا —
هذا النجاوز في التفنن فوق مقدور الورى
وإخاله خطراً على صدق التفرغ للديانه
لم أرق تمثالا يدانيه جلالا أو سنا !

تحتمس (مخاطباً مريراً) — سيدي ! اني الوفيّ لديني
غير أني الوفي أيضاً لفني

المشير ناخت — اني كذلك يا مولاي يشغلني أنّا انصرفنا عن التقديس للدين
هذا (تحتمس) أولى أن يخص به دور العبادة في تحت وتزيين
أما المليكة فالتمثال ليس لها إلا كظل ضئيل في القرابين
حسن كهذا ضنين أن يمثله فنّ وأعظم من حكم الموازين !

نفرتيتي — والآن هل لي أن أعبر عن شعوري ، لو تحتم
يا من تقاليم بأطرافي وتقديسي أبحتم ؟ !

أخنتون — ما شئت انت جميعنا يرضاه !

نفرتيتي — إذن فاعلموا اني النصيرة للفن
كذلك زوجي لم يجد مرة ضنى

كلانا يجلّ الفن إجلال عاشق
ويلمسه بالفكر والسّمع والعين
فلن تحرموني لذة الفن هذه
ولن تحرموا الفنّان ما يرتجي مني !

اخنتون — إن الفنون عبادتي وأجلّ قربان لربي
هيهات أجحدها ! وكيف ، وكلها مرآة قلبي ؟
ملكي يدمّر من سناها لا بأسلحة وحرب

مريرا (قاصداً) — هذا ازورار يا مليك عن الشريعة ، فلتحاذر !
(مخاطباً نفسه) — إن هذا الخبال شؤم وأولى أن تراه محطّماً مقبوراً !
فتنة للانام إن ظلّ فيهم !

أخنتون (عتجبًا) — يا أبي لست من يقول نكيرا
إنما الناس بالفنون يعيشون ولولا الفنون كانوا موائم !
هيكلنا الحق روحه من سناه ! إن جفا الفن ظل كالليل عائم :

•

ثم ماذا تقول يا (ناخت) ؟ مالي لا أرى منك غير صمت عجيب
يا مشيري ! هل من رجاء سوى الفن نصيراً وراعياً لا يخيب ؟

المشير ناخت (معارضاً) —
هو سحر العقول ما لم يطوّع في نظام للدين والديان
إنّ رأيي كما يقول (مريرا) ، فهو أدرى بالضعف في الانسان !

أخنتون (متعجباً) — من علّم الدين قبلي نور الحياة البهيجه ؟
فالدين في فرحي الصديق الجارف
والدين في قلقي الجميل الطائف
والدين نبع من أتى عواطفي
يضفي الأمان على الحزين الخائف

مريرا — (في حزم) إن الكهانة وحدها عين النجوم الساهرة !
نفرتيتي (ساخرة) — عجباً ! أعلم كل ما يا طالما علمته

يا طالما ابتسمت من ناموا بأنفاس الخمائل
ونثرت أحلامي فكانت كلّ ما صوّرته
للناس من دين المحبة لم يدنّس بالسلاسل !

مربرا (غاضباً) — لم يبق الا أن أقول لكم بصوت (اتون) حقّا
هيهات أصبح أن نقيم لغيره رمزاً ورسما
لا بدّ يطمر أو يحطّم ذلك التمثال فورا
لا تحرجوني واسمعوا وعظي !

تفرتيتي (ساخطة) . . . . . تناشد أنت ذكرا !
(بصوت حال مدو)

المنظر الثاني

(يمثل المنظر الثاني حديقة القصر الملكي بل المهارنة أو مدينة أخيتاتون ، وقد خرجت الملكة إليها للتنزه وحدها وصيدتها ولتطيب بمنظر حوضي ، والوقت أصيل بعد مرور شهر من المنظر الاول)

تفرتيتي (تقلب قرنفلة فريدة في يدها) —

ما هذه القرنفلة ؟ لعلّها مدلّله !
قد نشرت زينتها عرائساً مكلّله
أوراقها في صبغها خواطر وأخيله
رقيقة مبلبله !

الوصيفة — هي صنف أحله البستاني موضعاً فائقاً من الابثار
أبدعتها يداه قبل الأوان في حنان وخصّها بالمختار
قال هذي قربانه لحيّا ك العزيز الجميل بين الدراري
مثلما راعنا (تحتمس) بالنعـ ـت ، فهذا يروع بالأزهار !

تفرتيتي — جنّبي ذكره ، فقد صارت الذكرى عذاباً لقلبي المجروح !
خطفوه وضيعوا فنه الغالي !

الوصيفة — . . . . . لبئس الذي أثره جنونا
إن حزني لمثل حزنك مولاتي !

سنوحي — . . . . . وحزني كذلك ليس يهون
بيد أنّ الأب المبجل ينفي أيّ شأن له بهذي الفجيعه

تفرتيتي — كيف ينفي ؟ نعم ، عجيب (سنوحي) من ترى غيره أثار الغبارا ؟
حارب الفنّ بعد ما كان حاميه ، كأني ارتكبت إثماً وعارا
يا طبيب الملك ، قل لي : أغرّ ومريض من يجعل الفنّ دينا ؟
هل (أتون) العظيم إلاّ ضياء وبهاء يستأسر الناظرينا ؟

سنوحي — الناس مولاتي — وإن سعدوا — كبارهم صغار
ما أبدر الحيّ الذي تخذ الجمال له شعارا
وأحطّ عند الآلهة خافقاً لمّاعا
فهو المراد للآلهة عزّة وشعاعا

(يسمع أنين الشادوف)

تفرتيتي — ما ذلك الباكي الأنين ؟

الوصيفة — هذا هو الشادوف يا مولاتي

تفرتيتي — . . . . . باك على الأحياء والأموات ؟

(استفهام)

الناس قد فقدوا الشجاعة حيّهم ، والميّتون إخالهم بنفاقهم
وغرورهم لم يصلحوا بمات

(تتأمل في شخص قدم من بعد)

من ذلك القادم ؟ . . . من دا ؟

الوصيفة — هذا ؟ . هذا رئيس الشرط

سنوحي (متأملاً) — متمهلاً يدنو .

الوصيفة (مستدركة) أخطأت مولاتي ، فهذا حارس الملك ، (يقترب الحارس)

تفرتيتي — لعله أتى لنا بدعوة

حارس الملك — مولاتي

تفرتيتي — ماذا أتى بك يا فتى ؟

حارس الملك — مولاي

الملكة — تكلم . . . ما وراءك ؟ . . قل . تكلم

حارس الملك — عثروا على التمثال والفنان

المنظر الثالث

(يمثل المنظر الثالث الصدى الفاسد لليل القصر الملكي بمدينة أخيتاتون بعد المنظر الاول بقليل وقد حضرت نفرتيتي بناء على دعوة أخنتون . وحضر إذن الملك رئيس الشرط (ماهو) .
ويستهل المنظر بحديث بين (أخنتون) و (نفرتيتي)

أخنتون — أي (نفرتيتي) وقد دعوتك مهجتي لتشاهدي تمثالك المحبوبا

نفرتيتي — وافرحتي برجوعه
أأحضره (مريماً) بعد لأي كضن الليل بالنور الحبيس ؟

أخنتون — كلا ، فما هو ذنبه

نفرتيتي — إذن من الذي الذي خبأه ؟

أخنتون — إنها لقصة عجيبة

نفرتيتي — وما هي ؟

أخنتون — تكلم أنت يا (ماهو)

نفرتيتي — وأين (نحتمس) ؟ أين ؟
ألم تهتدوا الى مسكنه ؟

ماهو — أصارح مولاتي بما قد رأيته فلم تر عيني مثله بحياتي
رأيتُ فتى ممتلئاً فوق وجهه صريعاً كأنون بحسر صلاة
وقد وضع الجبين على رأس نحته وفي يده اليسرى . . .

نفرتيتي — . . . . . أجب من هو الفتى ؟

ماهو — رويدك مولاتي !

نفرتيتي — . . اجبني فانني أضيق بوصف لا يجيب سؤالي !
أجبني فهذا الصمت قد سامني أذى وشر الأذى ما قد ينال خيالي ؟

ليالي كم قد نالني من وساوسي ... ومن أرق ما كاد يرهق بالي
وأي أذاة قد أصابت (تحتمس) ؟ ... أجبني ! أم استهوته رشوة مال ؟

ماهو — هنالك مولاتي ! وسراً : ذاتي ... سأبلغك الحق الصريح !

تمرتيني — . . . . . أجب إذن

ماهو (مكملاً حديثه) — ... وفي يده اليسرى اعتراف بذنبه
ومن عجب قد صاغه لحن شاعر !

ولما أردنا رفعه كان ميتا . .

تمرتيني — آه ! ما للمأساة هذي ؟ من ترى ... ذلك السارق من لاق جزاءه؟
أترى (تحتمس) كان مسؤلا لما قد ناله ؟
ثم ما مغزى رسالته التي طالعتموها ؟

ماهو — كانت رسالة مؤمن بالفن يعبده عباده !

تمرتيني — عجباً !

ماهو — . . . وقد عدّ التمثل فيه غايات السعاده
فأقام حجرته هنالك هيكلا وبها اقيم صيامه وتبتّله
حتى تقدم المنية هادئاً مثل الشهيد وما تحقق مأمله

تمرتيني — عجباً عجباً .
كل هذا يجري وقد غاب طويلا (تحتمس) . . . اين غابا ؟
رغم ذاك التلكؤ الجم منه لا ارى في سليمه النفذ عابا
فعليكم أن تبذلوا الجهد في البحث . . . . . .

ماهو — . . . . . ارى البحث في النهاية غابا

تمرتيني (دهشة وجلة) — كيف غابا؟

ماهو — (حنونياً) . . . . . لقد تأخر مسعانا !

تمرتيني (حائرة ، متمتمة) —
على العكس قد ظفرتم بغنم بعد يأس وجمة الخيال

ماهو — (في حزن عميق) كان ذاك الميت الشهيد (تحتمس)

[النهاية]